(المدى) تلتقي عائلة مؤسس الجمهورية العراقية

اعدموا الزعيم صائماً وبقيت عائلته تبحث عن ملجأ

بغداد: ابو مهند الامين

في الذكرى الرابعة والاربعين لاستشهاد مؤسس الجمهورية العراقية المرحوم عبد الكريم قاسم التقت (المدى) عائلة الشهيد لتسجل استذكاراتها عن الاوقات العصيبة التي مرت عليها في ذلك اليوم المشؤوم في ٨ شباط عام ١٩٦٣ وكان اول المتحدثين عبد الله حامد قاسم ابن شقيق الشهيد قائلا:

في صبيحة ذلك اليوم ٨ شباط الاسود كنا نسكن في كرادة مريم وكنت حينها في المرحلة المتوسطة وقد سمعت العائلة خبر الانقلاب من الراديو وحينها اتصل الوالد المرحوم حامد قاسم بالزعيم مستوضحا فطمأنه الزعيم لكن والدي قرر ان يرسل اخواتي الى الاقرباء تحسباً من أي طارئ وبقيت والدتي المرحومة ام عدنان ورفضت المغادرة وكذلك اخي الكبير عدنان واخي طالب وبعد فترة قرر الوالد الذهاب الى بيت عمتي الصغرى زوجة اللواء عبد الجبار جواد، وبعد ذلك اقتحم الحرس القومي البيت واخذوا يطلقون النار في كل ارجاء البيت وتدمير كل ما يريدون تدميره وسرقة ما تطوله ايديهم واخذوا سيارة العائلة واعتقلوا اخي عدنان واخي طالب، وبعد مدة علمنا ان والدي المرحوم حامد قاسم قد اعتقل ايضاً مع زوج عمتي اللواء عبد الجبار جواد فقد أخذتهما قوات النظام المباد من بيت عمتي في العلوية واعتقلا في سجن رقم واحد.

وتستذكر السيدة خولة محمد صالح ابنة شقيقة الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم انقلاب (٨) شباط الاسود قائلة: "عند سماعنا باخبار المؤامرة قالت لنا والدتي المرحومة الحاجة امينة: هيا بنا نذهب الى بيت خالتكم ام رعد زوجة اللواء عبد الجبار جواد في العلوية لنتابع من هناك مجتمعين احداث اليوم الرهيب وفعلاً ذهبنا الى بيت خالتي وتمكنت والدتي من الاتصال بالزعيم هاتفياً بعد الافطار اذ كان الزعيم صائماً رمضان وسألته عما يفعل فرد: "لقد افطرت قبل قليل على جرعة ماء وانني الان اقرأ بعض سور القرآن الكريم وارجوكم اطمئنوا ولا تقلقوا وتعاونوا في ما بينكم ولا تتفرقوا وانني احمد الله على انني حاولت مخلصاً إرضاءه وخدمة شعبنا العزيز ونصرة الفقراء والمظلومين، وان ضميري مرتاح ولم تفاجئني هذه المؤامرة لان اعداء العراق لا يريدون له الخير وتوقعت ان يحركوا اذنابهم الصغار من مطايا الاستعمار لتدمير منجزات ثورة ١٤ تموز المجيدة وانني مؤمن بأن الآجال مكتوبة وانني لا اهاب الموت فاذا كتب الله لي ان اموت فانا فداء للعراق العظيم".

واضافت: ثم توالت الساعات الرهيبة واعدم خالي الزعيم صائماً مع اخوانه الشهداء من دون محاكمة والقيت جثته في النهر من دون اخبار احد.

وتختتم السيدة خولة (ام هديل) حديثها قائلة: رغم كل مصيبتنا باستشهاد خالي الزعيم الا ان العراقيين احاطونا حباً واحتراماً كبيرين فأينما نذهب واينما نحل وحالما يعرفون قرابتنا من الزعيم نستشعر بفخر مكانة خالنا الشهيد في نفوس الناس وهذا ما يعوضنا عن كل شيء.

وما يجدر ذكره ان خالي الزعيم رفض اعطاء والداتي (امينة) وهي شقيقته الكبرى داراً من الدولة رغم عدم امتلاكنا لدار في ذلك الوقت وقد كتب على طلبها

ابنة شقيقة الزعيم

الاصولي: "اصبري اختي امينة فكل العراقيات اخواتي ولا يزال في العراق من هو افقر منك" اقول رغم انه حرمنا من امتلاك دار الاَ انه وهبنا ما هو اكبر واثمن وهو حب العراقيين واحترامهم وتقديرهم".

لعائلة الشهيد عبد الكريم قاسم.

أما مؤيد محمد صالح ابن شقيقة الشهيد عبد الكريم قاسم فقد قال عن انقلاب ٨ شباط الاسود:

صباح يوم ٨ شباط تلقينا النبأ عن طريق الاذاعة وكنا في بيتنا الكائن في منطقة تل محمد حين سمعنا باب الدار يطرق علينا واذا الملازم الاول عبد الكريم عبد الجبار وكان صديقاً لنا ويسكن محله كمب سارة وقال ان هناك مؤامرة ضد الجمهورية ففتحنا المذياع واذا بصوت حازم جواد والذي كان يسكن الى جانبنا في محلة المهدية مسقط رأسنا وقد عرفناه من نبرة صوته المميز واثر ذلك تركنا البيت الى بيت خالتنا في محلة العلوية خوفاً من بطش العصابات في تل محمد وبعد ذلك سمعنا ان بيتنا قد سرق بجميع محتوياته من قبل الحرس القومي واستولوا عليه بالكامل وقد التقينا جميعاً في بيت خالتي وهو بيت اللواء عبد الجبار جواد ابن عمة والدتي اما اخي طارق الملازم الطيار آنذاك فقد ذهب الى معسكر الرشيد في القاعدة الجوية في بغداد وذهب معه الملازم الاول عبد الكريم عبد الجبار ومعه عدد من الطيارين الوطنيين الموالين للجمهورية والزعيم وحدثت مناوشات ومقابلات مسلحة مع من سيطروا على القاعدة الجوية انتهت بانسحاب شقيقي الشهيد طارق وجماعته والتحاقه بنا في دار خالتي شقيقة الزعيم الصغرى ومن هناك التحق الى بيت الزعيم في العلوية وقد ذهبت معه فرأيت الزعيم وطه الشيخ احمد والمرافقين وعدداً من الضباط بعد ذلك قرر خالي الشهيد عبد الكريم قاسم الذهاب الى وزارة الدفاع وقد سار موكبه باتجاه الباب الشرقي وهنا قال لي الشهيد طارق اذهب الى البيت وكن شجاعاً وكل من اراد دخول البيت إرمه بسلاحك وحافظ على شرف العائلة لإننا نعرف هؤلاء السفلة وبعد ان سار موكب الزعيم حاولت اللحاق بهم ووصلت الى ساحة الطيران وكانت الجماهير الغفيرة تهتف للزعيم واشار شقيقي طارق إلي بالرجوع الى البيت لحماية العائلة هناك وقد فارقتهم في ساحة الطيران وعندما وصلت البيت رأيت مجموعة من المواطنين المسلحين يهتفون بأسم الزعيم ماكو زعيم الا كريم وقد رحبوا بي وعندما دخلت البيت وجدت زوج خالتي اللواء عبد الجبار جواد قائد الفرقة الخامسة وكان مريضاً بمرض القلب ونائماً على الفراش بحالة سيئة جداً وكانت والدتي تجري اتصالاتها مع الزعيم في وزارة الدفاع وكان يبدو من خلال المحادثة ان الامور سيئة والموقف بدأ يميل الى الانقلابيين وكان الشهيد الزعيم يطمئن والدتي ويقول لها لا تخافوا ان الله معكم وسوف يعاقب الله سبحان وتعالى هذه الطغمة الشريرة وقائد قوى الشر ناكر الجميل عبد السلام عارف فنحن مع شعبنا وخدمناه بكل امانة واخلاص وسوف يذكرنا التأريخ فهو الفيصل والحكم.

بعد ذلك جرت عدة مكالمات مع الشهيد من خالتي وكانت كلها تصب في الموقف وكان الشهيد الزعيم يوصي الاسرة بضبط النفس وركز على حماية العرض وذكر الله.

لقد كانت تلك الاوقات من احرج الظروف ولابد لي ان اذكر ان الشهيد الزعيم كان وهو طفل حسب قول والدتي انه كان يقوم بصيام رمضان.

وفي آخر مكالمة ليلة ١٤ رمضان سألته والدتي هل افطرت فقال لها نعم على الماء فقط انا لله وان اليه راجعون بعد ذلك قطع الاتصال عن الهاتف الى ان سمعنا خبر الاعدام والمحكمة الصورية بالاذاعة اود هنا ان اذكر ان الزعيم رحمه الله وهذه امانة تأريخية انه من خلال المكالمات التي اجريت مع والدتي كان محافظاً على توازنه ولم يأبه بكل شيء حتى ان والدتي قالت لي انني سمعت الزعيم وهو يوجه اخوانه الذين قاتلوا معه عندما كان يكلمني بضرورة قتال الخونة الذين استغلوا رحمة الزعيم بهم وعطفه عليهم واولهم خائن القرآن الكريم وناكر جميل الزعيم الشخص الذي بذر او بذور الطائفية عبد السلام عارف هذه حقيقة اسردها للتاريخ والحقيقة ولشعبنا المظلوم الذي ابتلي بعد ذلك بحكام عبارة عن عصابة من السراق وشذاذ الافاق وشعبنا يعلم ماذا الم به بعد ذلك لمدة ٤٠ عاماً من الفوضى والقتل والتشريد ومحاولة طمس المكتسبات الوطنية الخالدة للشهيد الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم رحمه الله.

اعود الى مصير العائلة جاءت عصابة من الحرس القومي واقتادت زوج خالتي اللواء عبد الجبار جواد من فراش المرض واعتدوا عليه ثم خالي الحاج حامد قاسم واعتدوا عليه ايضاً اما العائلة فقد ابلغونا بمغادرة البيت او قتل كل من فيه فتوزعنا على اصدقائنا من المخلصين فذهبت عائلتي الى الكرادة الشرقية في بيت الحاج اسماعيل الجدعه وقاموا بايوائنا متحدين كل المخاطر التي قد يلجأ اليها التتر الجدد.

اما انا فكنت طالباً في ثانوية الثقافة الاهلية في السنك وقد واظبت على الدوام ورحب بي اصدقائي بحذر الى ان تم توقيفي من الاتحاد الوطني ثم ارسلت الى مقر الحرس القومي في نفس دارنا. وهناك تم ضربي واهانة كرامتي من آمر القطاع، وقال لقد قتلنا اخاك الطيار طارق محمد صالح ثم اخذوني الى معتقل في نادي النهضة في الكرادة الشرقية وهناك رأيت عدداً كبيراً من المعتقلين، وفاتني ان اذكر انني عندما رأيت داري وسيارة اخي يستخدمها هؤلاء المرتزقة دمعت عيني بعد ان رايت ان محتويات دارنا كلها قد سرقت من قبل الحرس القومي وقد تشتتنا ولم نسلم حتى على ملابسنا واكثر ما يحزنني انني رأيت عدداً من الحرس القومي يذهبون الى الثلاجة الخاصة بنا ويجلبون الطعام ويأكلون امامي.

بقيت عائلتنا في الكرادة الشرقية ثم اخذني الحرس القومي الى معتقل السدة الشرقية القريب من ملعب الشعب، أما شقيقي الاكبر صبحي فقد اخذوه الى سجن رقم واحد وبالرغم من كل ذلك بقيت والحمد لله هاماتنا عالية ولم نتنازل او نتخاذل الى يومنا هذا حتى انني عندما كنت اذهب مع الحرس لاداء امتحانات الدراسة الاعدادية البكالوريا كانت السلاسل في يدي وبعد الحاح مدير القاعة الامتحانية بفك الاصفاد عن يدي وحدثت مشادة كلامية بينه وبين الحرس حول ذلك وأود ان اذكر ان طوال هذه السنين لم ينصفنا أي مسؤول في الدولة سوى انه في فترة السبعينيات أرسل احمد حسن البكر بعد ان امتد به العمر طارق حمد العبد الله للاستفسار عن حالنا الا ان والدتي رفضت مقابلته وقالت له: الله ينتقم من كل ظالم.

هذا جزء يسير مما اختزنه من الذكريات المريرة التي عشناها بعد استشهاد الزعيم الخالد الذي كان يوصينا بعدم استغلال قرابتنا له على حساب الشعب كذلك يعرف شعبنا من هو الزعيم ذلك الرجل الذي ضحى بكل شيء في سبيل شعبه ونحن بدورنا نشكر جريدة المدى الغراء على اظهار الحقيقة وانني وان فقدت خالي الزعيم الخالد وشقيقي الشهيد طارق فاننا نقول اننا ما زلنا نتذكر ايامنا وقائدنا وقيمنا ونفتخر بالوسام الخالد امام شعبنا وامام الله والتاريخ لاغلى واعلى وسام في عائلتنا جميعاً هو الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم.

واننا نناشد المسؤولين وكل الاطراف السير بمنهج الزعيم ونبذ التفرقة والطائفية بين ابناء شعبنا وضرورة تلاحم كل الخيرين لبناء العراق ونصرة البلد الجريح ومؤازرة حكومة الوحدة الوطنية للوصول بالبلد الى بر الامان وخروج المحتل من ارضنا المقدسة والله ولي التوفيق.

وجاء دور رعد عبد الجبار ابن شقيقة الزعيم الشهيد حيث قال:

في بداية العطلة الربيعية في شباط ١٩٦٣ تلقى والدي المرحوم اللواء عبد الجبار جواد قائد الفرقة الخامسة انذاك دعوة من صديقه آمر موقع البصرة المرحوم الزعيم عبد القادر لقضاء العطلة في البصرة وفعلاً سافرنا الى البصرة وقضينا اوقاتاً جميلة ولكن لسوء حالة والدي الصحية إذ كان يعاني منذ سنوات أزمات قلبية حادة رجعنا الى بغداد ومكث والدي في البيت على ان يدخل المستشفى العسكري يوم الجمعة ٨ شباط للعلاج وقد حدث ما حدث في ذلك الصباح وكنت في غرفة والدي عندما اتصل بوزارة الدفاع ظهر ذلك اليوم وتحدث مع المرحوم الزعيم عبد الكريم قاسم واتذكر قسماً من الحديث حيث قال والدي للزعيم "كريم لا تحصر نفسك في وزارة الدفاع" ثم اتصل بآمر اللواء ٢٥ طالباً منه التأهب لتلقي الاوامر من القيادة ثم بعد ذلك انقطعت الخطوط الهاتفية.

وتحسباً لأسوأ الامور طلب والدي نقلي مع اخوي طلال وسعد الى بيت احد الاصدقاء الاوفياء في منطقة السعدون وفعلاً ذهبنا ومعنا اختي مها الى ذلك البيت واستقبلتنا العائلة بكل ترحاب ومكثنا هناك مدة تقارب الشهر وانقطعت اخبار عائلتي عدا قدوم بعض الاصدقاء الذين كانوا على اتصال بوالدتي المرحومة الحجية نجية بين فترة واخرى وقد علمت منهم بان الحرس القومي قد دهم بيتنا في منطقة العلوية واخذ والدي الى سجن رقم واحد ورغم ان بيتنا كان متواضعاً في اثاثه لم يسلم من اعتداء الحرس القومي حيث نهبت المكتبة التي كانت تحتوي على كثير من الكتب القيمة وكذلك بعض قطع السلاح منها ما يعود الى عمي المرحوم العقيد الطيار محمد علي جواد ومنها ما يعود الى جدي المرحوم جواد افندي الضابط السابق في الجيش العثماني بعد اعتقال والدي مباشرة.

لقد استطاعت والدتي رغم كونها وحيدة في ذلك الوقت بمساعدة الاصدقاء المخلصين ان تؤجر بيتاً في الكرادة الشرقية وتنقل بسرعة اثاث البيت الى السكن الجديد.

وفي يوم السبت ٩ شباط ١٩٦٣ سمعنا الاخبار بتنفيذ حكم الاعدام بالزعيم عبد الكريم قاسم ومجموعة من رفاقه ثم عرض الفيلم في تلفزيون بغداد كان مشهداً مؤلماً هزني من الاعماق وبالرغم من مفارقته الحياة وآثار الرصاص والدماء بادية على وجهه فقد كان وجه خالي الزعيم مشرقاً مبتسماً.

بعد لم شمل العائلة علمت من والدتي بانها مع خالتي ام عدنان زوجة خالي حامد اتصلتا بآية الله العظمى السيد محسن الحكيم رحمه الله للطلب من عبد السلام عارف تسليم جثمان الزعيم الى العائلة لدفنه، لكن عبد السلام رفض الطلب وقد استغربت ذلك: فهل هذه هي اخلاق من يدعون بانهم ثوار؟ هل كان ذلك حقداً على الزعيم او خوفاً من جثمان الرجل الذي اعتبر رمزاً للوطنية الصادقة؟! الرجل الذي احبه فقراء العراق حباً مخلصاً لا تملقاً ولا طمعاً بمكرمة او هدية او هبة كما هو حال بقية الحكام العرب.

ورغم كل محاولات اعداء هذه الشخصية العظيمة لطمس الحقائق ومحو ذكراه واعماله العظيمة فقد بقي الزعيم حياً في قلوب جميع العراقيين من الذين عاصروه وابنائهم من الاجيال التي شهدت تعسف واستهتار الحكام الذين جاءوا بعده اقول هذا ليس تحيزا للزعيم كونه خالي ولكن هذا هو الواقع الذي لمسته طوال الفترة من ١٩٦٣ بعد سقوط النظام حيث اقر بوطنيته حتى اعداؤه الذين عملوا ضده نادمين على فعلتهم معترفين بانه لو عملت القوى السياسية في ذلك الوقت مع عبد الكريم قاسم ولم تتأثر بالمؤثرات الاجنبية عربية كانت ام اجنبية لما تحقق هدف الاعداء في ان يكون العراق بلداً ضعيفاً لا حول له ولا قوة تنهب ثرواته ويقتل ابناؤه من دون رحمة.

ولا بد لي ان اذكر باعتزاز التفاتة رئيس الجمهورية جلال طالباني بتخصيص راتب شهري لعائلة الشهيد عبد الكريم قاسم.

وكان آخر المتحدثين من عائلة الشهيد عبد الكريم قاسم طلال عبد الجبار حسين ابن شقيقة الشهيد حيث قال:

كلما اقترب يوم ٨ شباط ١٩٦٣ تعود الى كل العراقيين الوطنيين ذكريات حزينة مؤلمة ليس لفقدان الزعيم عبد الكريم قاسم فحسب وانما لفقدان خيرة الوطنيين المخلصين الى وطنهم وخيرة الكفاءات الرائدة في عملها في خدمة الوطن وقد تغيبت آمال الفقراء والمحتاجين لحياة اجتماعية ملؤها الكرامة والطمأنينة.

العائلة عانت من هذا اليوم وتستذكره جيداً وسوف اضيف الى ما ذكره اخي الكبير وكذلك ابن خالي عبد الله وابن خالتي مؤيد وشقيقي رعد هو ان الوالد كان مريضاً بالقلب وملازماً الفراش وقد اتصل بالزعيم يخبره بأنه يروم الالتحاق بفرقته ولكن الزعيم رفض ذلك واتذكر أيضاً بان ابن خالتي الشهيد الملازم الطيار طارق محمد صالح رحمه الله جاء الى البيت وسلم على الوالد والوالدة واخبرنا بانه ذاهب الى وزارة الدفاع وقد قبّل افراد العائلة جميعاً لانه يعرف بأنه لن يراهم وهذا ما حدث لان الحرس القومي بعدها اخذوه الى النادي الاولمبي واعدموه مع من اعدم من الابطال الوطنيين لقد اخبرنا الوالد والوالدة بأن نغادر البيت ونذهب الى بيت اصدقاء الوالد المرحوم غالب عزيز وبعدها الى بيت المرحوم احمد البياع ولم نرَ الاهل الا بعد مرور مدة طويلة وعلمنا بان الوالد واغلب العائلة قد تم توقيفهم في سجن رقم واحد.

انني إذ استذكر الفعل الشائن والجبان لزمرة الانقلاب الاسود في ٨ شباط عام ١٩٦٣ بحق مؤسس الجمهورية العراقية الشهيد عبد الكريم قاسم لا بد لي ان اذكر بفخر واعتزاز موقف حكومتنا الشرعية التي جاءت عن طريق الانتخابات الديمقراطية تجاه صدام الذي اساء لشعبه ايما اساءة.

فبالرغم من الاهانات التي وجهها الى القاضي والادعاء العام والشعب العراقي الا ان محاكمته كانت نزيهة وقد امتدت لاشهر.

وبعد ان نال جزاءه العادل وهو الاعدام أقدمت حكومتنا الوطنية على اعطاء جثته الى عشيرته التي قامت بدورها بدفنها في مسقط رأس في مراسيم غاية في الاحترام حتى ان شيخ العشيرة تعجب من تصرف الحكومة شاكرا لها حسن صنيعها.

فشتان بين تصرف حكومتنا حاليا مع جثة صدام وتصرف الانقلابيين آنذاك مع الشهيد عبد الكريم قاسم سواء في محاكمته الصورية ام في التعامل مع جثته الطاهرة، إذ لا تعرف عائلته حتى الان مكانها وانها في الوقت الذي تستذكر ذلك بألم فانها تطالب الحكومة الوطنية بان تقوم بواجبها لمعرفة المكان الذي دفنت فيه جثة الزعيم الشهيد (رحمه الله) وهذا ليس مطلب عائلة الشهيد الكريمة حسب، انما هو مطلب الملايين من العراقيين النجباء الذين يكنون كل الحب والاعتزاز والتقدير لزعيمهم الفذ عبد الكريم قاسم.

لقد اجتمعت في شخص الشهيد كل الصفات والخصال البشرية الحميدة، فقد كان (رحمه الله) فذا في الشجاعة والعطاء والنزاهة كما كان فذا في التواضع والزهد وايقامة العدل وكان فذا (رحمه الله) في الفصاحة والشهامة والمروءة والنخوة والاصالة والنقاء، بل حتى في الاناقة لذلك احبه الشعب العراقي حبا جما لا يعدله حب وقد عبروا عن ذلك الحب بحمل سياراته فوق الرؤوس اينما حل باحياء بغداد انذاك، لقد كان وجهه مشرقا وضاءا والبسمة بادية على محياه دائماً حتى بعد استشهاده!.

عائلة الزعيم مع المحرر

انقلاب شباط.. ١٩٦٣ الذي جاء بكل هذا الخراب

مازن عبد الوهاب

كان يوم جمعة، على ما اتذكر، ولكنها كانت الجمعة الكئيبة بامتياز! فقد خرجت عقارب الشر من جحورها اخيراً بعد ان عفا الزعيم عما سلف من شرورها طويلاً، وبعد ان تمكنت من مواقع التحكم بمفاصل القوات المسلحة ولا اظن ان ما يحصل اليوم كان سيحصل لو انه، غفر الله له، لم يكن يعفو عما سلف على ذلك النحو، واخذ، وفقاً للقانون، بتحذير الجواهري الكبير له، مثلاً، وكانه كان ينظر انذاك الى ما سيحصل للناس من جراء ذلك العفو فيما بعد:

فضيّق الحبل واشدد من خناقهم
فربما كان في إرخائه ضرر

فما زلت اتذكر جزاء اولئك الانقلابيين لذلك العفو عما سلف الشهير، وفي ذلك اليوم "الاغر" ودباباتهم الغادرة تحمل، لخداع الناس، صورة الزعيم، وهي تدب مرتبكة متعثرة لتعض اليد الكريمة التي امتدت لمحركيها بالتسامح والعفو، حتى ان احداها داست، من ارتباكها ذاك، على جمع من الاشخاص في الحيدر خانة فتركت بعضهم قتلى في الحال، والبعض الاخر نصف احياء بعد ان سحقت النصف الاسفل من اجسادهم وتركتهم هكذا. وبعد ان تمكنت الزمرة "القومية" من الوصول الى السلطة في قطار القوى العظمى ضربت واهانت واعدمت الزعيم وصحبه والاف العراقيين التقدميين، في شهر رمضان الذي حرم الله فيه القتل، مثلما قيل كثيراً على الصعيد المحلي والعربي مؤخراً بالنسبة لعيد الاضحى حين اعدم الطاغية، بينما لم يحتج احد من امثال هؤلاء انذاك حين اعدم الزعيم وهو صائم في شهر لا شك في تحريم القتل فيه!

ان احداً لا يستطيع ان يفصل التاريخ وفق مقاساته هو، او ينتقي منه ما يصلح لطروحاته فقط فكما يردد البعض من ورثة "فكر" تلك الفترة السوداء اليوم، وهم يقفون هذا الموقف الجاهلي المعادي لعراق المستقبل بان ما بني على باطل فهو باطل، فان الباطل الذي حدث يوم شباط ١٩٦٣ قد بني عليه ايضاً، ووفقاً لمقولتهم هذه، باطل اكثر من اربعين عاماً، حتى هيأ الله له عام ٢٠٠٣، ولا شيء يحدث الا بارادة الله، بالطبع، من قلب عاليه سافله، وجعله كعصف مأكول!

ومن هنا، فان علينا جميعاً اليوم، بدلا من الاستمرار في لعبة الحقد التي لا فائز فيها الا الاعداء، ان نعتبر بهذا الدرس التاريخي الصعب، ونعيد ترتيب امور بيتنا على ضوء النتائج المستخلصة منه، ففي الوطن متسع للجميع وفيه من الثروات والامتيازات والزعامات وافاق العمل والتقدم ما يكفي قارة ويزيد، وليس بعد هذا التذابح المجاني المقيت، يا اخوان، الا الطامة الكبرى.. اللهم اشهد اني بلغت!

اليوم الدموي -٨- شباط

سلاما سعيد السلامي

صافي الياسري

الليلة التي ارتحلت، كانت تعد باكتمال القمر في الليلة التي تليها، وكانت سماواتها ترفل بالامن وتلهو في اطرافها الاشكال الظريفة التي كونتها نتف الغيوم العسجدية والبيض، تعانق القمر لحظات وتخفيه اخرى ثم تظهره باسمة في لعبة (ختيلة) لم يكن يراقبها الا الصبية والمتعطلون وهم كثر، وعشاق التأمل من الشعراء والفنانين وكل العراقيين شعراء وفنانين، وكنت احدهم، اجمع من كل كتاب صفحة، ومن كل قماشة خيطا، تلك الليلة لم تكن نسوة محلتنا الهادئة (ام النومي) وشارع المحيط الثاني في الكاظمية، الذي صار اسمه شارع موسكو، عاصمة السلام كما كان يطيب للفقراء والكادحين في مدينتي الملونة بالاقداس ان يسموها، ولا العمال العائدون من (الشفت المسائي) من معامل فتاح باشا للغزل والنسيج، ولا القافلون من الجوامع التي لا عدد لها في احياء الكاظمية، الى بيوتهم، ولا الطلبة، والتلاميذ الذين فر بهم البرد الى اسرتهم مبكرين، ولا حراس الازقة المتلفعون (بيشاميغهم) البيضاء والحمراء والزرقاء، المختبئون في زوايا ومنعطفات (الدرابين) الضيقة في البحية والصميلات والانباريين، لم يكن احد من هؤلاء جميعا يعرف، او يتوقع ان صفحة ما ستقلب، وان منطق المؤامرة الدموية سيعلو صوته على بقية الاصوات في راديو بغداد، الناضح بالحقد المسموم، ليلتها لم نكن نعلم جميعا اننا على موعد مع الظلمة فجر اليوم التالي، ذلك اليوم المحترق من شباط ١٩٦٣ .

كنت يومها صبيا في المرحلة المتوسطة، لكنني كنت مشبعا تماما بكل ما يحمله جيلي من صور نسجتها الام الفقراء والكادحين في غياهب السجون والمعتقلات، لغد .. كنا نظن اننا نمثله وان فجره الابيض سيطلع على ايدينا .

وكان صباحا رمضانيا، وانطلقت المدينة في فلك حياتها اليومية المجهدة، عملا دؤوبا وممارسة وجود ضاجة بالحيوية والاشراق، لولا ذلك الخيط من دخان اسود تسلل من معسكر الرشيد قرب الزعفرانية ومن وزارة الدفاع في الباب المعظم، ومن الصالحية حيث دار الاذاعة والتلفزيون، ثم انفلتت غيمة سوداء كالحة لوثت كل فضاءات بغداد واناخت على كل العراق اكثر من اربعة عقود كابية دموية .

وقبل ان تغادر الجموع عتبة المدينة، ادركت بوعي طبيعة ما يجري حولها، فتوقف نبض الشارع، ثم استحال همهمة فهتافا فموجة ازداد تلاطمها شيئا فشيئا ..

ركض سعيد متروك السلامي (الكاظمي) الى بيته في ام النومي، واخرج الرشاشة الوحيدة التي كان يملكها المدنيون المناهضون لما عرف لحظتها انه انقلاب اسود بعثي الهوية، وركض اخرون الى مركز شرطة الكاظمية، وعند الاطلاقة الاولى التي اكدت عزمهم وارادتهم، استسلم المركز كله، واقتسم المدنيون السلاح، ونقلوا نشاطهم الى بقية دوائر الدولة في المدينة، واغلقت معامل فتاح باشا ابوابها، لكن .. لكن التتار الجدد .. ما كان يردعهم رادع او وازع، فبعد ان تيقنوا من استحالة دخولهم المدينة قصفوها بالمدفعية، دون مراعاة حتى لقدسيتها، حيث سقطت احدى قذائف المدفعية على ثانوية البنات، وراحت الدبابات تطلق نيرانها بكثافة عشوائيا على الجميع، فانسحب شباب المدينة المقاومون، الى بيوتهم، او غادروا الى اقاربهم في مناطق اخرى حتى خارج بغداد، حين تأكدوا من ان التتار الجدد لا يبالون بهوية الضحية، وقصفهم العشوائي لا يميز، وقد تقدمت الدبابات من صوب التاجي، وتوغلت في المدينة من ناحية الشمال (بوابة بغداد الان) وهي تحمل صور عبد الكريم قاسم، الذي كان سكان المدينة يكنون له الحب والاحترام، وحين اكتشفوا حقيقتها، كان الاوان قد فات فقد اصبحت بين ظهرانيهم وعلى مداخل الازقة حتى، لتفتح المدخل المظلم الاول لجمهورية الرعب التي فرضت انفاسها السامة على العراق كله اربعة عقود وما زالت تحاول ان تنفث سمومها في فضاءاته اليوم .

وبعد ان توغل التتار في المدينة المقدسة، استباحوا شوارعها، واقتادوا شبابها ومنهم - الشهيد سعيد متروك السلامي- الذي اعدموه في الشارع الذي يحمل اسمه اليوم، شارع المحيط القديم، وكنا نراهم وقد شدوا اذرعهم بقطع قماش خضر لكنهم كانوا يحصدون كره المدينة كلها، حجرا وبشرا ..

اليوم تحتفل ام النومي بشهيدها المبجل سعيد متروك السلامي، فتزدهي ازقتها بعطره بعد ان ظل مغيبا اربعة واربعين عاما، ويستعيد ذكره معاصروه الاحياء بفخر واعتزاز، ويعلون حين يعلون اسمه كل اسماء الشهداء، الذين اغتالهم تتار ٨ شباط الدموي وورثتهم من انقلابيي تموز ٦٨، صناع الموت والمقابر الجماعية ومهندسي جمهورية الرعب البعثية .

فسلاما سعيد السلامي .. لك ولكل رفاقك ومحبيك الذين قدموا دماءهم وارواحهم واجسادهم قرابين لاغلاق بوابة الموت والحقد الاعمى.